الصورة التشكيلية في رواية (خيال ساخن)

لا زلت أستفيد كثيراً في رواياتي بالرؤية التشكيلية لتظهر ملامحها في كتاباتي بأشكال متغيرة

› بقلم: محمد العشري

الفن التشكيلي له مكانة خاصة في روحي، لأنني بدأت مبكراً بممارسة الرسم في المراحل الدراسية الأولى، أذكر في المرحلة الإعدادية كنت شغوفاً بالقراءة في الفن التشكيلي، وبدأت التعرف على أجواء الفنانين والكتاب من خلال ذلك الاهتمام.

وفي حصص الرسم كان الزملاء والزميلات يهيلون عليَّ كراساتهم (بعد أن يخرج المدرس بالطبع)، لأرسم لهم، والمدهش أنني كنت أحب ذلك، وأرسم لكل زميل أو زميلة نفس الموضوع بطريقة مختلفة. وهناك موقف يمثل لي نقطة تحول، لا يزال محفوراً في الذاكرة من بدايات المرحلة الثانوية، حين طلب منا مدرس الرسم أن نرسم لوحة عن (الثورة)، بشكل حر، ورسمت الموضوع كما ظهر في مخيلتي.

• صورة مبكرة:

(مجموعة من الثوار العزل من الأسلحة، في مواجهة حملة البنادق من الجنود، والنار تنطلق على الثوار وترديهم قتلى في الميدان، والدماء تسيل تحت أقدامهم).

حين انتهيت من تلوينه بالألوان المائية، إذ بالمدرس وهو يمر علينا يتوقف أمامي، ويأخذ ما رسمت من أمامه، ويحدق فيه طويلاً، ثم أخذني من ذراعي وذهبنا إلى مكتبه (مرسم المدرسة)، ووجدته يعلق ما رسمته على الحائط في مكان بارز، بعناية واهتمام، وسألني: هل تعرف (جويا)، لم أعلق، لأنني لم أكن أعرف ذلك الاسم في ذلك الوقت، ووجدته يخرج كتاباً ويفتحه على صفحة بها لوحة تنطبق تماماً على ما رسمته، مع اختلافات طفيفة في الألوان، وقرأت أسفل اللوحة (إعدام الثوار للفنان الإسباني (فرانسيس جويا). من يومها صارت صداقة بيني وبين مدرسي الفنان كمال أحمد، الذي أمدني بالكثير في مجال الفن التشكيلي.

استمرت ممارستي للرسم قبل أن أتحول إلى كتابة الرواية، ولا زلت أستفيد كثيراً في رواياتي بالرؤية التشكيلية التي تكونت لدي، ولا زالت تظهر ملامحها في كتاباتي بأشكال متغيرة، تعتمد على الصورة، التي أود التركيز عليها في السرد، وهو ما حمسني أن يكون أحد أبطال روايتي «خيال ساخن» هو فنان تشكيلي، حتى أستطيع من خلاله التعبير بشكل أكثر شمولية، وحتى تكون الصورة التشكيلية الحاضرة في المتن لها مبرر قوي، وأرض تتكئ عليها لتشكل وعي الشخصيات والأبطال في الرواية، لأن الصورة تعطي دلالاتها، وقوتها، بشكل أسرع، وأكثر تأثيراً ولمساً للروح، من صفحات كثيرة يمكن أن تمر على القارئ دون أن تلمسه أو تحرك ذهنه، وإحساسه بما يقرأ.

تبدأ الرواية بمشهد في حديقة بيت التاجر وهو فنان تشكيلي في نفس الوقت بنقل كتلة صخرية منحوتة بفعل الزمن (أخشاب متحجرة» اكتشفها في الصحراء بعد أن فتنته بتفاصيل الحياة المتجمدة فيها، وأراد نقلها إلى فضاء بيته، لتستقر بين الأشجار الحية للحديقة. بعد مجموعة من الأحداث نجد فوقها تمثال صنعه المثّال لبطل الرواية (ساهر) وهو يصارع أسداً، ويخرج الماء ليصب في حوض النافورة من فم الأسد، ومن أفواه ضفادع منحوتة ومثبتة في الإطار الداخلي لنافورة الماء.

• صورة (1):

(أخبره برغبته في صنع تمثال لساهر وهو ممسك بفكي أسد، في حالة عراك، ليثبته فوق الصخرة، ويجعل الماء يخرج من فم الأسد، ومن أفواه الضفادع التي ترقد على حافة نافورة كبيرة تتوسط حديقة البيت).

وتنشأ علاقة حية بين جمانة (بطلة الرواية وابنة التاجر)، وتمثال ساهر، تظهر في صورة عديدة.

• صورة (2):

(في ليلة من ليالي الشتاء أمطرت الدنيا بغزارة، خرجت جمانة مسرعة، ألقت بغطاءين فوق التمثالين، عادت ترتجف، وقفت خلف نافذتها، تنتظر توقف المطر، لتخرج إلى حبيبها، تجفف البلل عنه وتبتسم، إلى أن سقطت من الإعياء).

وفي أحداث الرواية يعكف الفنان التشكيلي على لوحاته في مرسمه الخاص، ليرسم بعض اللوحات الفانتازية، من خلال رسم حيوانات خرافية، يرسم تنيناً مبتكراً وفي لحظات اندماج كامل، يخرج ذلك الكائن من اللوحة المرسومة، ويتحرك بحرية داخل السرد، لتنطلق وتشكل عوالمها الخاصة، المتشابكة مع عالم الإنسان في البناء السردي للرواية.

• صورة (3):

(أمسك فرشاة، خط خطوطاً مختلطة الألوان، أبعد ما رسمه عنه ونظر إليه مستغربا، رأى حيواناً غريباً يتحرك أمامه، خارجاً من اللوحة، جسمه الطويل مقسم إلى حلقات عرضية، رقبته مكسوة بشعر غزير، شكله تحول إلى تنين مرعب، النار تخرج مندفعة من فمه، لولا أن السقف عال لحرقت ناره البيت، حاول أن يسيطر عليه فبدا الغضب على أطرافه، تركه يخرج من البيت ويتخطى البوابة، وقف أمام التمثال المثبت في النافورة فترة، قبل أن يعدو خلف الغبار، الذي تثيره الأرجل المسرعة، في اتجاه ساحة البيع والشراء).

×××

× رواية (خيال ساخن) صدرت في طبعة عربية مشتركة، عن (الدار العربية للعلوم) في بيروت، بالاشتراك مع (مدبولي) في مصر، و(منشورات الاختلاف) في الجزائر في 2008.

× حازت على جائزة إحسان عبد القدوس في الرواية لعام 2008.

نص

موقف البيت

› أديب كمال الدين

أوقفني في موقف البيت
وقال: يا عبدي أما من بيت؟
أنفقت عمرك تحمل صرةَ ثيابِك
هائماً على وجهك
من بيت الفرات إلى بيت الرماد
إلى بيت البحر وما وراء البحر.
ومن بيت اليتم إلى بيت اللئام،
ومن بيت الحرمان
إلى بيت البكاء والناس نيام،
ومن بيت الصرخة إلى بيت الغربة،
وأنت تبحث عبثاً عن مأوى
وطمأنينة جدار.
يا عبدي
لا بيت لك إلا بيتي.
فادخله مطمئناً
وقل: سلام سأستغفر ربي.
وقل: الحمد لله الذي آواني
بعد طولِ تشردٍ وضياع
وجعل حرفي ونقطتي جدران بيتي.

قصة قصيرة

كأنه الصديق

› إيمان علي

يخفت النور ، و من ثم يضيء .. كان هو يوسف وكانت هنالك بقعة ضوء أعلى الجب

لم يكن لديه إخوة ، و لم يكن لديه قميص مضمخ بالدم .. بل كان يرقب ضوءاً في هذه الغياهب المعتمة.. و يسلي ليله بتراتيل كان يسمعها .. و ينتظر انبثاق الضوء تارة أخرى يتحسس جفنيه المبللين، فيتلمس تصدعات عميقة لا يعرف إلى أين تصل بعمقها .. ويستمر في القول لنفسه :

حتام أنتظر الضوء ، و حتام ينشق ذلك الأفق المظلم ..؟

يحاول ركل الأرض (بعصاتين) مدتا من أسفله، دونما فائدة ! فهو يعرف بأن طريقه أكثر انزلاقاً وأكثر وعورة تمر الأيام ، و ينسى يوسف خارطة الطريق .. و يغرق في سبات عميق .. و يفتح أعلى الجب ، و تنفر السيول في التصدعات ، و يكون الطريق أكثر انزلاقاً ليسحبه خارجا دونما يدري أنه قد غادر مكانه للأبد .. يخرج ، ليكون لديه أخوة، و يكون له قميص مضمخ بالدم.

أشعار

زمان الأقنعة..

› الشاعر/بلال الوجيه

ياالذي تقول الحزن هو ماء الأبداع
الحزن روى ابداعي من فيض ادمعه
ولولاه أنا ماصرت شاعر وبداع
أستحضر الهاجس واناجيه و أسمعه
ولولا ظروف الوقت وسوء ألأوضاع
ماكان عرفت انه زمان الأقنعه
ولولا سقطت مرات من فوق للقاع
ماكان وقفت باصرار واقسمت لطلعه
صحيح السقوط سبب لي آلآم واوجاع
لكن لدي بأصرار مقدرت أمنعه
وشموخ ماينحني لحد ولا انصاع
الا لرب الكون ذي انشاه وابدعه
وقلب ماياندم على شي قد ضاع
ولو كانت النفس فيه متولعه
فكيف اندم على صاحب مراوغ وخداع
أبد مانزل حلقي ولا اقدرت ابلعه
من باعني بعته ياكل بياع
ومن سار من شقي يروح الله معه
ودام البشر في الأرض اشكال وانواع
ودام الزمن هذا زمان الأقنعه
توقع تلاقي منهم شين الاطباع
والغدر من اعز الناس شوف وأتوقعه

ترانيمي

› فاطمة رشاد

مذ اليوم
علي ان الزم الصمت
الكثير في حياتي
وعلي ان امارس فعل الغباء
وان أتغاضى عن كل ما
يضايق قلبي
علي وعلي
ان أكون كما يريدني في
الحياة